برنامج [إطلالةٌ على هالةِ القمر] - الحلقة (2)
على شواطئ معرفة العباس – الجزء (2)

الجمعة: 16 صفر 1440هـ الموافق: 2018/10/26

● مرَّ الحديثُ في الحلقةِ الماضية تحتَ العُنوان الأوّل مِن مجموعةِ العناوين التي سأتناولها في حلقاتِ هذا البرنامج..
عنواننا الأوّل الذي شرعتُ في الحديث في ظِلاله: على شاطىء معرفة العبّاس.. وبيّنتُ في الحلقةِ الماضية أنَّ هذا العُنوان يشتملُ على تمهدين.. تقدّم الحديثُ في التمهيد الأوّل في الحلقة المُتقدّمة.. التمهيدُ الثاني سأتناولهُ في هذهِ الحلقة.

● **كان حديثي في التمهيد الأوّل وبنحوٍ مُوجز يشتمل على ثلاثةِ فصول:**
• **الفصل (1):** ميزان قبول ورفض أخبار عاشوراء وشُؤونها.
• **الفصل (2):** العبّاس ومُصطلح الإمامة.
• **الفصل (3):** العبّاس ومُصطلح العِصمة..

● التمهيد الثاني الذي سأعرضهُ بين أيديكم في هذهِ الحلقة يشتملُ على فَصلين:

❂ **الفصل الأوّل عُنوانه: الأسد والطيّار** (حمزةُ وجعفر "صلواتُ اللهِ وسلامه عليهما").. وأبدأُ الحديثَ مِن هذهِ الرواية.

✦ وقفةٌ عند حديثِ الإمام الصادق في [الكافي الشريف: ج8] في صفحة 213 - الحديث 392
(عن يوسف بن أبي سعيد، قال: كنتُ عند أبي عبد الله "عليه السلام" ذاتَ يوم، فقال لي: إذا كان يومُ القيامةِ وجمَعَ اللهُ تباركَ وتعالى الخلائق، كان نوح أوَّل مَن يُدعى به، فيُقالُ لَهُ: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم، فيُقال لهُ: مَن يشهدُ لك؟ فيقول: مُحمَّدٌ بن عبد الله "صلّى اللهُ عليه وآله". قال: فيخرجُ نوحٌ فيتخطَّى الناس حتَّى يجيء إلى مُحمَّدٍ وهُو على كثيب المسك ومعهُ عليٌّ وهو قول الله عزَّ وجلَّ: {فلمَّا رَأوهُ زُلْفَةً سِيئَتْ وُجُوهُ الَّذين كفرُوا} فيقولُ نوحٌ لمُحمّدٍ "صلّى اللهُ عليه وآله": يا مُحمَّد، إنَّ الله تبارك وتعالى سألني: هل بلَّغت؟ فقُلتُ: نعم، فقال: مَن يشهدُ لكَ؟ فقُلتُ: مُحمَّد، فيقول: يا جعفر، يا حمزة.. اذهبا واشهدا لهُ أنَّهُ قد بلَّغ. فقال أبو عبد الله "عليه السلام": فجعفرٌ وحمزةُ هُما الشاهدانِ للأنبياءِ بما بلَّغوا. فقُلتُ: جعلتُ فداك، فعليٌّ أين هو؟ فقال: هو أعظم منزلة من ذلك).
• قولهِ: (**كان نوح أوَّل مَن يُدعى به**) لأنّهُ شيخُ الأنبياء ولأنّهُ أشرف الأنبياء مِن شِيعةِ عليّ وآل عليّ.. كما نُسلّم عليهِ في زيارتهِ ونقول: (**السلامُ عليكَ يا شيخ المُرسلين**) والرُسُل أعلى رُتبةً مِن الأنبياء.. فهو شيخُ المُرسلين والأنبياء.. ولِذا عُدّ إبراهيمُ النبيّ مِن شِيعةِ نُوحٍ في آياتِ القرآن.
• قولهِ: (**وهُو على كثيب المِسْك**) أي وهُو على مُرتفَع المِسْك، يعني مكانٌ مرتفع.. وكثيب المِسك هُو منزلةٌ مِن منازلِ نبيّنا الأعظم في يوم القيامة.
• قول نوح: (**يا مُحمَّد، إنَّ الله تبارك وتعالى سألني: هل بلَّغت؟ فقُلتُ: نعم، فقال: مَن يشهدُ لكَ؟ فقُلتُ: مُحمَّد**).
قد يسأل سائلٌ هُنا: لِماذا كُلُّ هذهِ التفاصيل..؟
وأجيب مِن الزيارة الجامعة الكبيرة.. حين تقول الزيارة:
(حتّى لا يبقى ملكٌ مُقرّب ولا نبيٌّ مُرسل ولا صدّيقٌ ولا شهيد، ولا عالمٌ ولا جاهل، ولا دنيٌّ ولا فاضل، ولا مُؤمنٌ صالح، ولا فاجرٌ طالح، ولا جبَّارٌ عنيد، ولا شيطانٌ مَريد ولا خَلْقٌ فيما بين ذلك شهيد، إلّا عرَّفهم جَلالةَ أمْركم وعِظَم خَطَركم وكِبَر شأنكم وتمامَ نُوركم وصِدْق مقاعدكم وثباتَ مقامكم وشَرَف مَحلّكم ومَنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصّتكم لديه وقُرب منزلتكم منه)
• قولهِ: (**فجعفرٌ وحمزةُ هُما الشاهدانِ للأنبياءِ بما بلَّغوا**) وأيُّ شهادةٍ هذه..؟! إنّها شهادةٌ بين يدي الله، شهادةٌ بين يدي مُحمّدٍ وعليٍّ وهُما على كثيب المِسك.. شهادةٌ لكلّ الأنبياء، والبدايةُ مِن عند نُوح النبيّ.. مِن عند شيخ المُرسلين..! ولابُدَّ للشاهد أن يكون عالماً، ولابُدَّ أن يكون عِلْمهُ تفصيليّاً.

✦ في زيارة أسد اللهِ وأسد رسولهِ (الحمزة عمّ رسول الله "صلّى الله عليه وآله") نقرأ هذهِ العبارات ونحنُ نُخاطب بها الحمزةَ الشهيد الشاهد بشخصه:
(بأبي أنتَ وأُميّ أتيتكَ مُتقرّباً إلى رسولِ اللهِ "صلَّى اللهُ عليهِ وآلهِ" بذلكَ راغباً إليكَ في الشفاعة، أبتغي بزيارتكَ خلاص نفسي، مُتعوّذاً بكَ مِن نارٍ استحقَّها مثلي بما جنيتُ على نفسي، هارباً من ذُنوبي التي احتطبتُها على ظَهري فزعاً إليكَ رجاءَ رحمةِ ربّي - لأنّ الأمان عندك يا عمَّ رسول الله - **أتيتكَ مِن شُقّةٍ بعيدة** - مسافةٍ بعيدة - **طالباً فكاكَ رقبتي مِن النار وقد أوقرتْ ظهري ذُنوبي وأتيتُ ما أسخطَ ربّي ولم أجد أحداً أفزعُ إليه خَيراً لي منكم أهل بيتِ الرحمة، فكُن لي شفيعاً يومَ فقري وحاجتي فقد سِرتُ إليكَ مَحزوناً، وأتيتكَ مَكروبا، وسكبتُ عَبرتي عندكَ باكيا، وصِرتُ إليكَ مُفردا، وأنتَ مِمَّن أمرني اللهُ بصِلتِه، وحثَّني على برّهِ، ودلّني على فَضْلِه، وهداني لِحُبه، ورغبّني في الوفادةِ إليه، وألهمني طلبَ الحوائج عنده...)**
• قولهِ: (**مُتعوّذاً بكَ مِن نارٍ استحقَّها مثلي بما جنيتُ على نفسي**) هذا الذي يُستعَاذُ بهِ مِن النار.. هل يُمكن أن نتصوّرهُ في حالةٍ مِن حالاتهِ يصدرُ مِنهُ مِن الأفعالِ أو مِن الأقوال التي تقودهُ إلى النار..؟!
هناك أفعالٌ جِنانيّة، وهُناك أفعالٌ جهنّميّة.. وهُناك أقوالٌ جِنانيّة، وهُناك أقوالٌ جهنّميّة.. فهذا الذي نلجأ إليهِ ونتعوّذُ بهِ مِن النار ونُخاطِبهُ بهذه العبائر والأوصاف.. هل مِن المنطقي أن يكونَ مَصدراً لأفعالٍ جهنميّة، لأفعالٍ نِيرانيّة، لأقوالٍ جهنميّة، لأقوالٍ نيرانيّة أو لنوايا جهنّميّة..؟! قطعاً لابُدَّ أن يكونَ مُنزّهاً عن هذه المعاني.
• قولهِ: (**ولم أجد أحداً أفزعُ إليه خَيراً لي منكم أهل بيتِ الرحمة، فكُن لي شفيعاً يومَ فقري وحاجتي**) هذا المضمونُ هو نفسهُ نقرؤهُ في آخر فقراتِ الزيارةِ الجامعةِ الكبيرة:
(اللّهمَّ إنّي لو وجدتُ شُفعاءَ أقربَ إليكَ مِن مُحمَّدٍ وأهل بيتهِ الأخيار الأئمةِ الأبرار لجعلتُهم شُفعائي..) فهو نفس المضمون الموجود في زيارة الحمزة.

• وبعد صلاة زيارةِ الحمزة نقرأ في دُعائها هذهِ العبارات:
(اللَّهمَّ صلّ على مُحمّدٍ وآل مُحمَّد، اللَّهم إنّي تعرَّضتُ لرحمتكَ بلزومي لِقَبرِ عمَّ نبيّك "صلّى اللهُ عليهِ وآله" ليُجيرني مِن نقمتكَ وسَخَطِكَ في يومٍ تكثرُ فيه الأصوات، وتَشغلُ كُلُّ نفسٍ بما قدّمتْ وتُجادلُ عن نفسها..)
هذا حديثنا وخِطابُنا المعرفيُّ والعقائديُّ عن حمزةَ عمّ رسول الله "صلّى الله عليه وآله".
ومرَّت رواية الإمام الصادق في الكافي الشريف والتي تُخبرنا أنَّ حمزة وجعفر هُما الشاهدان للأنبياء بما بلّغوا..!
هذا الخطابُ في زيارةِ أسدِ الله وأسدِ رسوله لا يتناسبُ إلّا مع المقام الذي حدّثنا عنهُ إمامنا الصادق: الحمزةُ الشاهدُ الشهيد.. شاهدٌ على الأنبياءِ بما بلّغوا، شاهدٌ على رسالاتهم.. وشهادتهُ أعظمُ بكثيرٍ مِن الشهادةِ على موقفِ أُمّةٍ مِن الأُمم.. فالشهداءُ في يوم القيامة على أصناف وعلى مراتب..
فهُناك من يشهدُ لنفسهِ فقط وتُقبَلُ شهادتهُ لِنفسهِ، وهناك مَن يشهد لأُمّةٍ مِن الأُمم، لِمجموعةٍ مِن المجموعات، وهناك مَن يشهدُ لأسرتهِ، وهُناك مَن يشهد لتلاميذهِ وأصحابه، وهناك مَن يشهد للأنبياء بما بلّغوا.. وهذه الأوصاف والخطابات في زيارة الحمزة لا تتناسب إلّا مع مقام الشهادة للانبياء.
هذهِ صُورٌ ولَقَطاتٌ تُقرّبُ لنا بنحوٍ مِن الأنحاء مَنزلةَ أسدِ اللهِ وأسدِ رسوله: الحمزةُ الشهيدُ الشاهد "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه".. وقرينه الطيّار جعفر.

✦ وقفة عند حديث سيّد الأوصياء في كتاب [بحار الأنوار: ج21] صفحة 24 - الحديث (19)
(عن أمير المؤمنين "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه" قال: إنَّ رسولَ اللهِ "صلّى اللهُ عليه وآله" لمَّا جاءَهُ جعفر بن أبي طالب مِن الحبشة قامَ إليه واستقبلَهُ اثنتي عشرة خُطوة، وقبَّل ما بينَ عينيه وبكى، وقال: «لا أدري بأيّهما أنا أشدُّ سُروراً: بقُدومكَ يا جعفر، أم بفتح اللهِ على أخيكَ خيبر؟» وبكى فَرَحاً برؤيته)
الروايةُ دقيقةٌ في تفاصيل ألفاظها.. النبيُّ هُنا يتحدّثُ عن هذهِ الجهة: عن سُرورهِ بفتح أمير المؤمنين خيبر.. ليس كما في الروايات الأُخرى التي ذكرتْ فتحَ خيبر مِن دُون الإشارةِ بالتصريح لسيّد الأوصياء... النبيُّ يُخبرنا أنَّ فرحَهُ بقُدوم جعفر يُساوي فَرَحهُ بفتح أمير المُؤمنين خيبر..! مسألةٌ كبيرةٌ جدّاً.. خُصوصاً إذا ما قرأنا في الزيارةِ الغديريّة المرويّة عن إمامنا الهادي.. جاء فيها:
(ويومَ خيبر إذ أظهرَ الله خوَرَ المُنافقين، وقطَعَ دابرَ الكافرين، والحمدُ للهِ ربّ العالمين..)
واقعةُ خيبر هي أهمُّ الوقائع.. ومِن تعابير الزيارة الغديريّة فإنَّ واقعةَ خيبر هي زُبدة الوقائع وهي واقعةُ الفَصْل.
واقعةُ بدر كانتْ البداية، لكنَّ واقعةَ خيبر هي خُلاصةُ الخُلاصات.
المُخالفونَ للعِترة الطاهرة طَمَسوا الكثيرَ مِن الحقائق.. في حُصون خيبر لم يكنْ اليهود فَحَسب وإنّما تجمّع كُلُّ المُشركين.. والموضوعُ له تفصيل لا أُريد الدخول فيه، ولكن عبائر الزيارة الغديريّة واضحة.
• قول الزيارة: **(ويومَ خيبر إذ أظهرَ الله خوَرَ المُنافقين)** ظهَرَ خَوَرُ المُنافقين في جيشِ رسولِ الله كفرار أبي بكر وفرار عُمَر والتفاصيل حتّى ساءَ ذلك وآذى رسولَ الله "صلّى الله عليه وآله".. فقد تأذّى النبيُّ وأظهرَ غَضَبَهُ واضحاً حينما ذَهَب أبو بكر ورجع فارّاً مِن المعركة، وذهب عُمَر ورجع فارّاً من المعركة وحينها تحدّث رسول الله عن الكرّار الذي ليس بفرّار وهو أمير المؤمنين "صلواتُ الله وسلامهُ عليه".
فالمُنافقون فُضِحوا في الوسط المُسلم، والكافرون قُطِعَ دابرهم مِن اليهود وغيرهم.. كُلُّ ذلكَ بإسم عليٍّ، ولِذا فإنَّ المُخالفين حَذفوا الكثير مِن الحقائق.. وأمَّا عُلماؤنا ومراجعنا فهم أيضاً لم يعبأوا بهذا الأمر.. وبعد ذلك ضعَّفوا الأحاديثَ والرواياتِ التي وردتْ بشأن خيبر، وإنّما تحدّثوا عنها بنحوٍ مُجمَل مثلما تحدّث المُؤرّخ الطبري الذي يعشقهُ علماء الشيعة ويقرأون التأريخ بقراءتهِ.
فحمزةُ وجعفر مثلما قال إمامُنا الصادق "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه" هما الشاهدان للأنبياء.

✦ وقفة عند كتاب ديوان شِعْر أمير المؤمنين "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه".
في صفحة 188 وما بعدها جاءتْ هذهِ الأبيات وهي افتخارٌ شعريٌّ مَنقولٌ عن سيّد الأوصياء.. جاء في هذا الافتخار:
(مُحمَّد النبيُّ أخي وصِنْوي وحمزةُ سيّدُ الشهداء عمّي**
وجعفر الذي يُضحي ويمسي يطيرُ معَ الملائكة ابنُ أمّي**
وبنتُ مُحمّد سَكَني وعُرسي مَسوطٌ لحمُها بدمي ولَحْمي**
وسِبطا أحمدٍ ولدايَ منها فمن مِنكم لهُ سَهْمٌ كسهمي؟!**
سبقتُكُم إلى الإسلام طُرّا ** غُلاماً ما بلغتُ أوانَ حِلْمي
أنا البطلُ الذي لم تُنكروهُ ليومِ كريهةٍ وليومِ سِلْمي**
وأوجبَ لي ولايتهُ عليكم رسولُ اللهِ يومَ غدير خُمّ**
وأوصاني النبيُّ على اختيارٍ ببيعتهِ غداةَ غدٍ برحمِ**
وأوصى بي لأُمّتهِ لِحُكمي فهل فيكم لهُ قِدْمٌ كقِدمي؟!**
فويلٌ ثُمّ ويلٌ ثُمّ ويلٌ لِجاحد طاعتي مِن غير جُرمي)**
أميرُ المؤمنين في أبياتهِ هذهِ يفتخرُ بأُمّهاتِ مفاخرهِ ومناقبهِ التي يعرفها المُسلمون والتي مردّها إلى عِصمة رسول الله وإلى عِصمته، وإلى إمامةِ رسول الله وإلى إمامته.. وحينما ابتدأ بمفاخره افتخر برسول الله "صلّى الله عليه وآله" وافتخر بعمّهِ الحمزة وبأخيه جعفر.
فسيّد الأوصياء مِثلما يفخرُ بمُحمّدٍ "صلّى اللهُ عليه وآله" يفخرُ بحمزة سيّد الشُهداء.. قَطْعاً مع حفظ المقامات.. فهل أنَّ أميرَ المؤمنين "صلواتُ الله وسلامه عليه" يُمكن أن يفخرَ بعمّهِ الحمزة وهُناك نَقصٌ يلوحُ في سِيرتهِ وعَيبٌ في بواطن نفسه - إنْ كان ظاهراً أو خفيّاً - هل يُمكن أن يُقبَل ذلك..؟!

أميرُ المؤمنين حين يفخرُ بحمزة فهذا أدلُّ دليلٍ على نقائهِ وطُهرهِ وصَفائهِ وعُلوّ منزلتهِ ظاهراً وباطناً.

✦ وقفة عند مُقتطفات مِن خُطبة إمامُنا السجّاد في قصر يزيد في أيّام شهر صفر حينما كانوا في الشام، والتي خَطَبها في أحرج الأوقات.. يقول فيها:
(أيّها الناس أُعطينا سِتّاً وفُضّلنا بسَبع أُعطينا العِلْم والحِلْم والسماحةَ والفصاحةَ والشجاعةَ والمحبّةَ في قُلوب المُؤمنين وفُضّلنا بأنَّ منّا النبيّ المُختار مُحمَّداً ومنّا الصدّيق ومنّا الطيّار ومِنّا أسدُ اللهَ وأسدُ رسولهِ ومنّا سِبطا هذهِ الأُمّة ومِنّا مهديّها..)
علماً أنّ هُناك نُسَخ لهذه الخُطبة تشتمل على ذكر الزهراء "صلواتُ الله وسلامه عليها": "ومنّا سيّدةُ نساء العالمين".
فإمامُنا السجّاد أيضاً حينما افتخرَ برسولِ اللهِ وبأميرِ المؤمنين وبجعفر وبحمزة وبالصدّيقة الكُبرى وبالسبطين وبالقائم مِن آل مُحمّد.
• الرواياتُ التي نُقلتْ عنهم "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليهم" التي يتردّدُ ويتكرّرُ فيها افتخارُهم بحَمزةَ وجَعفر كثيرةٌ جدّاً.. وأنا جئتكم بأمثلة ونماذج.
كُلُّ هذه المُعطيات: ما جاء في حديثِ إمامنا الصادق في الجزء (8) من الكافي الشريف الذي يُخبرنا أنَّ حمزة وجعفر هُما الشاهدان للأنبياء على رسالاتهم بما بلّغوا.. وما جاءَ مِن زيارة الحمزة أسد الله وأسد رسوله، وما قرأتهُ عليكم مِن حديثٍ عن أمير المُؤمنين يُخبرنا أنَّ رسول الله "صلّى اللهُ عليه وآله" يقول: لا أدري هل أكون مسروراً بقدوم جعفر، أم أكون مسروراً بفتح عليٍّ خيبر.. وبقيّةُ المضامين التي أشرتُ إليها.. افتخارُ أمير المؤمنين، افتخارُ إمامنا السجّاد..
كُلُّ هذا يُشير إلى نتيجةٍ واضحةٍ وبالسهولةِ يتمكّنُ الإنسان أن يصِل إليها مِن أنّنا بين يدي ذواتٍ طاهرة، ذوات مُطهّرة.. مِن هُنا كان لهم هذا المقام فكانتْ لهم الشهادةُ للأنبياء، وهذا ما أشرتُ إليهِ في حلقةِ يوم أمس حين قُلت أنّ النُبوّة وظيفة.
• في زمان مُوسى الشرائطُ الموضوعيّة في أن يُبعثَ نبيٌّ لبني إسرائيل هذهِ الشرائطُ وحقائق الحكمة تقودُ إلى أنَّ النبيّ الذي سيُبعَثُ لهم هُو موسى "مِن بينهم" ولم يكنْ الخِضْر الذي ذهبَ مُوسى ليتعلّم منه. النبوّةُ وظيفةٌ، قطعاً تكونُ مُلازمةً لعصمةٍ، لعلوٍّ في المنزلة، لِقُربٍ من الله.
ما عندنا مِن ثقافةٍ عن النبوّة أخذهُ عُلماؤنا ومَراجعنا مِن النواصب.. النواصب يُركّزون على موضوع النبوّة والأنبياء لأجل إلغاء العترة الطاهرة.. فنحنُ لو رجعنا إلى القُرآن ورجعنا إلى أحاديث العترة لفهمنا أنّ النبوّة وظيفة.. (قطعاً الحديثُ ليس عن نبيّنا، فنبيّنا سيّد الكائنات، وسيّدُ الموجودات.. وإنّما أتحدّثُ عن الأنبياء الذين هُم مرتبةٌ مِن مَراتب شيعةِ مُحمّدٍ وآل مُحمّدٍ، فنحنُ هكذا نعتقد أنّهُ ما مِن نبيٍّ بُعِث إلّا وقد بُعِثَ بنبوّة نبيّنا وولاية عليٍّ والأئمةِ مِن وُلده.. هكذا تُحدّثنا كلماتُ المعصومين).

✦ وقفة عند حديث الإمام السجّاد في كتاب [الخصال] للشيخ الصدوق
(عن ثابت بن أبي صفيّة قال: قال عليُّ بن الحسين "عليهما السلام": رَحِمَ اللهُ العبّاس - يعني ابن عليّ - **فلقد آثر وأبلى وفدى أخاهُ بنفسه حتّى قُطعتْ يداه، فأبدلَهُ اللهُ بهما جناحين يطيرُ بهما معَ الملائكةِ في الجنّة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإنَّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى لَمنزلة يغبطهُ بها جميعُ الشُهداء يوم القيامة)**.
• قوله: **(وإنَّ للعبّاس عند الله تبارك وتعالى لَمنزلة يغبطهُ بها جميعُ الشُهداء يوم القيامة)** جميع الشُهداء يغبطون أبا الفضل العبّاس.. سواء الشُهداء الذين قُتِلوا في المعارك، والشُهداء الذين يشهدون على الأُمم.. وحمزة وجعفر داخلان في شُهداء المعارك وفي الشهداء الذين يشهدون على الأُمم.. فحمزة وجعفر هما الشاهدان للأنبياء كما قال إمامُنا الصادق "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه" فهما أيضاً يغبطانِ أبا الفضل العبّاس "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه".
الأنبياء كُلّهم شُهداء، والصدّيقون كُلّهم شُهداء.. لكنَّ الرواية تتحدّث عن الذين يظهرون بهذا الوصف "وصف الشُهداء" يوم القيامة.
• الشيخ الصدوق يقول: **(والحديثُ طويل** - في منزلة العبّاس ولكن لم يصِل إلينا هذا الحديث - **أخذنا منهُ موضعَ الحاجة، وقد أخرجتُهُ بتمامه معَ ما رويتهُ في فضائل العبّاس بن عليّ "عليهما السلام" في كتاب مقتل الحسين بن علي عليهما السلام)**
لم يصِلْ إلينا هذا الكتاب، ولم تصِل إلينا هذهِ الأحاديث.

الفصل الثاني تحت عنوان: العقيلةُ والشبيه (إنّها زينب الكُبرى وعليٌّ الأكبر).

✦ وقفة عند ما جاء في كتاب [الإرشاد] للشيخ المُفيد.
حينما جيء بالعائلة الحُسينيّةِ إلى الكوفة، وحينما أُدخلوا إلى قصر بن زياد.. جاء في الرواية:
(فأقبل عليها ابنُ زياد وقالَ لها: الحمدُ للهِ الّذي فَضَحكُم وقَتَلَكم وأكذبَ أُحدوثتكم. فقالتْ زينب: الحمدُ للهِ الذي أكرمنا بنبيّه مُحمّدٍ "صلَّى اللهُ عليهِ وآله" وطهَّرنا مِن الرجس تطهيرا..)
حين تقول العقيلة: **(الحمدُ للهِ الذي أكرمنا بنبيّه مُحمّدٍ "صلَّى اللهُ عليهِ وآله" وطهَّرنا مِن الرجس تطهيرا)** إنّها تتحدّث عن نفسها وعن أهل بيتها.. فهذا الإكرام بمحمّدٍ "صلّى الله عليه وآله" لم يكن خاصّاً بعليٍّ وفاطمة والحَسَن والحُسين والتسعة المعصومين من وُلد الحُسين.. هذا الإكرام إكرامٌ للعقيلةِ أيضاً.. والأمر هو هو مع آية التطهير، فإنّ العقيلة "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليها" داخلةٌ فيها.
العقيلة هنا أيضاً تتحدّث عن عصمتها "صلواتُ الله وسلامه عليها"
فحين تقول العقيلة: **(الحمدُ للهِ الذي أكرمنا بنبيّه مُحمّدٍ)** إنّها تقصدُ نفسها في جُملة الذين أُكرموا بِمُحمّدٍ "صلّى الله عليه وآله" ومَن هم في هذا الأُفق (كالعبّاس وعليّ الأكبر وحمزة وجعفر الطيّار...)
وحين تقول العقيلة: **(وطهَّرنا مِن الرجس تطهيرا)** هذه إشارة واضحة إلى أنّ آية التطهير تنطبقُ على العقيلة.. صحيح أنّنا لا نملكُ نُصوصاً على أنَّ العقيلة كانتْ تحتَ الكساء اليمانيّ الشريف، ولكن ربّما كلامها هذا يُشير إلى هذا المعنى.. لأنّ آيةَ التطهير خاطبتْ الذين كانوا تحت الكساء أنّهم مُطهّرون مِن الرجس.

✦ وقفة عند مقطع مِن الخطبة الشهيرة المعروفة لِعقيلةِ بني هاشم في قصر يزيد في كتاب [بحار الأنوار: ج45].. ممّا جاء فيها:

(فكد كيدك واسعَ سعيكَ وناصبْ جهْدكَ، فو اللهِ لا تمحو ذكرنا ولا تُميت وحينا ولا تُدرك أمدنا..)
إنّها تتحدّث بنفس الضمير (ضمير: "نا"). ونحن نقرأ في حديث الكساء الفاطميّ الشريف:
(فهبطَ الأمينُ جبرائيل وقال: السلامُ عليكَ يا رسولَ الله، العليُّ الأعلى يُقرئُكَ السلام ويخصُّكَ بالتحيّة والإكرام، ويقولُ لكَ وعزّتي وجلالي إنّي ما خلقتُ سماءً مَبنيّة ولا أرضاً مَدحيّة ولا قَمَراً مُنيراً ولا شَمْساً مُضيئة ولا فَلَكاً يدور ولا بَحْراً يجري ولا فُلْكاً يسري إلّا لأجلكم ومَحبَّتكم، وقد أذن لي أن أدخلَ معكم فهل تأذن لي يا رسول الله؟ فقال رسول الله: وعليكَ السلام يا أمينَ وحي الله إنّهُ نعم، قد أذنتُ لكَ فدخَلَ جبرائيلُ معنا تحتَ الكساء، فقال لأبي: إنَّ اللهَ قد أوحى إليكم يقول: إنّما يُريدُ اللهُ لِيُذهبَ عنكم الرجس أهل البيت ويُطهّركم تطهيرا...)
• قوله: (**العليُّ الأعلى يُقرئُكَ السلام ويخصُّكَ بالتحيّة والإكرام، ويقولُ لكَ**) هُنا الخطاب بضمير الخطاب المُفرد.. فإنَّ السلام على مُحمّدٍ هو سلامٌ على آل مُحمّد "صلواتُ الله وسلامه عليهم".. وإلّا فإنَّ السلام على مُحمّدٍ مِن دُون السلام على آل مُحمّدٍ هو سلامٌ أبتر.. فإنّ الله حين يُصلّي على مُحمّدٍ إنّما يُصلّي على مُحمّدٍ وآله، وحينما يُسلّم على مُحمّدٍ إنّما يُسلّم على مُحمّدٍ وآله، ولكنّ الخطاب يتوجّهُ إلى مُحمّدٍ "صلّى الله عليه وآله".
• قوله: (**إنَّ اللهَ قد أوحى إليكم يقول..**) هذا وحيٌ لهم. كُلّ العبارات وكُلّ الإشارات وكُلّ البيانات (سواء التي جاءتْ في خُطبة العقيلة، أو التي جاءتْ في حديث الكساء الشريف) كُلّها تتحدّث بجلاءٍ ووضوحٍ وصراحةٍ عن عصمة العقيلة "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليها".
● ومن العقيلة الكُبرى زينب إلى شبيه رسول الله "صلّى الله عليه وآله" خَلْقاً وخُلُقاً ومنطقا: عليُّ الأكبر بشهادةِ أبيهِ الحُسين عليهم السلام
✦ وقفة عند مُقتطفات مِن زيارة عليّ الأكبر في كتاب [بحار الأنوار: ج98] ممّا جاء فيها:
(ثُمَّ امضِ إلى ضريح عليّ بن الحُسين وقِفْ عليه وقُلْ: السلامُ عليكَ أيُّها الصدّيق الطيّب، الزكيُّ الحبيبُ المُقرّب وابنَ ريحانةِ رسولِ الله "صلّى اللهُ عليهِ وآله"، السلامُ عليكَ مِن شهيدٍ مُحتسب، ورحمةُ اللهِ وبركاته، ما أكرمَ مقامكَ، وأشرفَ مُنقلبك، أشهدُ لقد شَكَرَ اللهُ سعيك، وأجزلَ ثوابك، وألحقكَ بالذُروةِ العاليةِ حيثُ الشرف كُلُّ الشرف، في الغُرَف السامية في الجنّة فوقَ الغُرَف، كما مَنَّ عليك مِن قبل وجعلكَ مِن أهل البيت الذين أذهبَ اللهُ عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً..)
• قوله: (**مِن شهيدٍ مُحتسَب**) يعني مُحتسَب مِن قِبَل إمامهِ وهُو سيّدُ الشُهداء، وتلكَ مرتبةٌ لا تُماثلها مرتبة.. ربّما يُقتَل الإنسان في ساحة الجهاد ويُستشهد ولكنّ الإمام لا يحتسبه.. هذهِ شهادةٌ مرئيّةٌ للناس، ولكنَّ الشهادةَ الحقيقيّة هي المُحتسَبةُ عند إمامِ زماننا.
• قولهِ: (**كما مَنَّ عليك مِن قبل وجعلكَ مِن أهل البيت الذين أذهبَ اللهُ عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيراً**) هذا العُنوان "أهل البيت" عُنوان عقائدي وليس عُنوان أُسري.. فحين نقول "أهل البيت" لا نتحدّث عن الذين يرتبطون بمُحمّدٍ "صلّى الله عليه وآله" ارتباط اللّحمة والنسب.. "أهل البيت" عنوانٌ عقائدي لا صِلة له بالمُصاهراتِ وبالأزواجِ وبالقراباتِ وبالرضاع وبأمثال ذلك من الأسباب التي تُوجد صِلةً من نوعٍ ما.. "أهل البيت" عُنوانٌ عقائديٌّ خاصّ.. صِلةُ الارتباطِ الطهارةُ فقط.. (الطاهرون، المعصومون..) على اختلاف درجاتهم.
• كما بيّنتْ في حلقةِ يوم أمس: هُناك المعصومون الأربعة عَشَر عِصْمتُهم عِصْمة الله.. أمَّا عصمةُ المعصومين مِن دُونهم فتتحدّد رُتبتُها بحَسَب اقترابهم مِن المعصومين الأربعة عَشَر.. أقربُ الأولياء إليهم هي هذهِ الأسماء التي جِئتُ بنماذج منها (الأسد الطيّار، العقيلةُ، عليُّ الأكبر) هذهِ هي الأسماء الأقرب، ومراتبها ودرجاتُها تختلف.. وأبو الفضل هو جزءٌ مِن هذهِ المجموعةِ القريبة مِن دائرة العِصمة الإلهيّة المُطلقة التي تتجّلى في مُحمّدٍ وعليٍّ وفاطمة والحَسَن والحُسين والتسعة المعصومين من وُلد الحُسين من سجّادهم إلى قائمهم.
هذه الدائرةُ وهذه المجموعةُ وهذهِ الحقائق القادسةُ التي عصمتُها عصمة الله كما نُخاطبهم في الزيارة الجامعة الكبيرة:
(**ومَن اعتصم بكم فقد اعتصم بالله**). الاعتصامُ بهم الاعتصامُ مِن كلّ دنسٍ ومِن كُلّ جهل.. نحنُ نعتصم بهم أيضاً ولكن على مسافةٍ بعيدة.. الأنبياء يعتصمون بهم ولكن على مسافةٍ ليس كالمسافةِ التي تقفُ فيها عقيلة العقائل أو يقفُ فيها عليٌّ الأكبر.
• هذهِ الكلمة التي قالها سيّد الشُهداء بعد مقتل عليٌّ الأكبر تُغنينا في بيان منزلةِ عليّ الأكبر.. حينَ وضعَ سيّد الشُهداء خدَّهُ على خدّ عليّ الأكبر وقال: (**على الدُنيا بعدك العفا**)
هذهِ الكلمة أبلغُ من كلّ كلامٍ ولكن لأنَّ خُطباء المِنبر طرحوها بشكلٍ سطحي، ولأنّ الشُعراء ولأنّ الكُتّاب وضعوها في زاوية العاطفة والأحزان ونظموا الأشعار بهذا الاتّجاه فقط. الكلمة أعمق بكثيرٍ جدّاً من أن نحصرها في زاوية الحُزن والمأساة.
قولهِ: (**على الدُنيا بعدك العفا**) العفا هو التراب، والعفا أيضاً تعني الاندراس والانطماس.. يعني فلتنطمسْ الدنيا بعدك..!
إذا وضعنا كلمةَ سيّد الشُهداء هذهِ في دائرة المأساةِ والأحزان فهو انتقاصٌ كبير من سيّد الشُهداء.. فسيّد الشُهداء حين يقول: (**على الدُنيا بعدك العفا**) لا يتحدّثُ عن عاطفةِ والدٍ على ولدهِ بما هو والد وبما هو ولد.. الحديثُ هُنا عن منزلةٍ عظيمةٍ لعليّ الأكبر.. فهذهِ الكلمة نفسها قالها إمامنا السجّاد حين جاء لدفن الأجساد الطاهرة.. لمّا وقف على المشرعة وحين رأى جسد العبّاس "صلواتُ اللهِ وسلامهُ عليه" ألقى بنفسهِ على الجسد الشريف ثُمّ قبّل نحره المُقدّس وخاطبه: (**على الدُنيا بعدك العفا يا قمر بني هاشم**). فهذه الكلمة صدرتْ من إمامٍ وتلك الكلمة صدرتْ من إمام.
✦ وقفة عند مُقتطفات مِن زيارة علي الأكبر في كتاب [مصباح الزائر] للسيّد ابن طاووس.. جاء فيها نفس المضمون:
(كما مَنَّ عليكَ مِن قَبل وجَعَلكَ مِن أهْل البيتِ الذينَ أذهب اللهُ عنهم الرجس وطهَّرهم تطهيرا. واللهِ ما ضرَّكَ القومُ بما نالوا منكَ ومِن أبيكَ الطاهر صلواتُ اللهِ عليكما، ولا ثلموا منزلتكما مِن البيت المُقدّس - بيت التطهير-).
فأنتَ يا أبا الحسن يا عليّ الأكبر كُنتَ من أهل هذا البيت ولازلتْ وستبقى.. إنّك مِن أصحاب آية التطهير، إنّك مِن أصحاب العِصمة المُطلقة (وأعني بالعصمة المُطلقة في الفناء القريب من العصمة الإلهيّة المُطلقة الكُبرى).

• إلى أن تقول الزيارة الشريفة:
(**فهنيئاً لكم - يا بني عبد المُطّلب - التمسّك مِن النبيّ "صلّى الله عليه وآله" بالسيّد السابق حمزة بن عبد المطلب، وقدِمْتُما عليه..**)
الخطابُ هنا موجّهٌ إلى المجموعة القريبة من دائرة العصمة المُطلقة الكُبرى.

✦ أختم حديثي بهذه الرواية التي أقرؤها عليكم من كتاب [بحار الأنوار: ج44]
(**يا ابن شبيب إنْ كُنتَ باكياً لشيءٍ فابكِ للحُسين بن عليّ بن أبي طالب فإنّهُ ذُبِحَ كما يُذبَح الكبش، وقُتِلَ معهُ مِن أهل بيتهِ ثمانيةَ عشَرَ رجُلاً مالهُم في الأرض شبيهون** -كُلٌّ بِحَسَب مقامه - **ولقد بكتْ السماواتُ السبع والأرضون لقتله...**)
قمر بني هاشم من هؤلاء الثمانية عشر رجلاً، وهو قمرهم.. وقمر بني هاشم هو الآخر ليس لهُ شبيه، ولذا يغبطهُ جميع الشُهداء.
العقيلة تغبطُ العبّاس وعليّ الأكبر يغبطُ العبّاس وحمزة وجعفر وكُلُّ الشُهداء ولكن كُلٌّ بِحَسَبه.. فإنَّ الشهادة على منازل والغِبطة على منازل ودرجات.
• البياناتُ هنا بياناتٌ إجماليّة.. نحنُ لا نستطيعُ أن نصِل إلى الحقيقةِ المُطلقة الكاملة.. ولكن من خلال النُصوص والزياراتِ والإشارات فإنّ العقيلة أعلى رُتبةً مِن كُلّ الذين كانوا في الطفوف من الرجال ومن النساء.